تربية سلامه موسى

تأليف الأستاذ سلامه موسى

ما قرأت في اللغة العربية سيرةً كتبها صاحبها عن نفسه تخالفه فيها توفيق كالتوفيق الذي أصابه الأستاذ سلامه موسى لما سجل أخيراً سيرته وأصدرها في كتاب عنوانه « تربية سلامه موسى » . فهو كتاب أصيل فريد يمتاز بالصدق والإخلاص ، وبيسط آراء الكاتب وانفعالاته وما استثاره من أحداث ، وما استفزه على التفكير ، ويرد لأساتذته المفكرين ديناً ، ويرشد أبناء الجيل الجديد إلى وسائل الكفاح الذهني وطرق التجاوب بين الإنسان والمجتمع الذي يحيط به .

والأستاذ سلامه موسى إنسان ، بشري ، يؤمن بالإنسانية وبالبشرية ، ويرى أن العالم « قرية » لجميع قطانه ، وأن الفضيلة موجودة في كل مكان حتى عند الزنجي الجلف الذي جافته الحضارة وطمست الجهالة مسام ذهنه . وهو ما فتئ يعطف على كل كائن : على الفراشة ، وعلى الدابة ؛ وما برح يؤكد كل حركة إصلاحية مستقبلية ، سواء كانت هذه الحركة من جانب المرأة للتحرر من قيود الرجعية الآسرة ، أو من جانب المستذلين من الشعوب ، أو من جانب الراسفين في أغلال الجهل الواقعين فرائس للمرض والفقر . والأستاذ سلامة صريح صراحة غير مألوفة في مصر وفي الشرق ، حتى إنه ليقول عن نفسه « أخطأت حين اعتنقت المذهب النباتي » و « كتبت مقالا عربدت فيه وفسقت » ويقول « وقعت في فجر شبابي في عربدة جنسية ذاتية » ويقول « تقاضيت جنيهين في شهر مرتباً من وزارة الشئون الاجتماعية » ، ويوغل في اعترافاته إيتالا لا ضابط له إلا الحقيقة .

وقد يسأل القارئ : وما دخل « حياة » سلامه موسى في « تربيته » ؟

والواقع أن الأستاذ سلامه ما سرد سيرته إلا ليوطئ بها لبسط فلسفته في التربية والتهذيب الذاتي . فهو يتحدث عن نشأته والبيئة التي أنبتته والمشكلات التي اعترضته ليبين كيف نمى له أن يستجيب لهذه العوامل وكيف تحقق له أن يتلمس أسباب العلاج فكان يصيب أحياناً ويخطئ أحياناً شأن كل راغب في الاستطلاع ، تواق إلى تحصيل معارف كونية موسوعية .

وناحية ذات شأن تعرض لها الكاتب في كتابه هي الحديث عن تاريخ الكفاح المصري في سبيل الاستقلال ، والجهاد لنفض غبار الاستعمار عن أديم الوادي ، وتصويره لهذه الأحداث تصوير انفعالي قوي . ألا ترى كيف بكى يوم قال له فرنسي وقح « الانجليز أسيادكم » وعاد إلى فندقه يتميز دماً ومخاطاً . ألا ترى كيف أن حادث دنشواي الفاجع جعله في حالة غثيان وذهول لا يستطيع الطعام أياماً . أو لا ترى أن الشيء الوحيد الذي أعرب الأستاذ سلامه عن أسفه عليه في كتابه هذا هو أن الرقابة قيدت حرية كتابته خمسة عشر عاماً في الحربين العالميتين الأولى والثانية . لم يأسف على فقد أمه ولا على فقد شقيقاته ولا على السجن الذي زج به فيه قدر أسفه على تكبيل حرية قلمه في هذه الفترة الطويلة .

والأستاذ سلامه يعيش للمستقبل لا للماضي فيقول إن الطاقة الذرية أنشأت عنده مركب نقص ما فتيء يعانيه منذ ما انفجرت قنبلة نيومكسيكو ثم قنبلة هيروشيما . ويقول إنه في السنوات العشر القادمة — إذا جاز له أن يرجو مد عمره فيها — سيدرس الذرة درساً مستفيضاً ولو اقتضاه ذلك استئجار مدرس خاص لأن خطورتها أكبر من أن يهملها رجل مثقف . وأمنيته في هذه السنوات التي لما تجيء هي أن يزور أوربا ويطوف في أرجائها ، ولكنه يخشى إن فعل أن تعمد السلطات المصرية إلى تجريده من جنسيته كما فعلت من قبل بالأستاذ محمود حسني العرابي حين انتهزت فرصة سفره إلى ألمانيا وجردته من جنسيته لا لسبب إلا لدعوته التحررية الفكرية . وهو يريد أن يختم حياته في الريف المصري لأنه يرى فيه جمالا لا يراه في المدن ، يريد أن يصادق الخراف والحمير والبقر والشجر ، يريد أن يتحدث إلى النجوم ويحيي الشمس في الصباح ويضحك مع الماء يجري بين النبات ويأكل الخس والفجل على حرف القناة .

وبعد ، فهذا كتاب تلوته مرتين وأرجو أن أتلوه مرتين أخريين على القليل فقد شغل تفكيري ونشط حواسي وأنهض